٩٨

السفور المريب

[الطويل]

لكلِّ لقاءٍ نلتقيه بشاشةٌ
وإنْ كان حَوْلاً كلَّ يَوْمٍ أَزورُها[١]

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ
فقد رابَني منها الغَداةَ سفورُها[٢]

وقد رابَني منها صدودٌ رأَيتُه
وإعراضُها عن جانبي وبُسُورُها[٣]

أَلا إنَّ ليلى قد أَجدَّ بكورُها
ومرَّت غداةَ السَّبْتِ للبَيْنِ عِيرُها[٤]

فما أَسْوَدُ أَلْمَى المحاجرِ مُطْفِلٌ
بِأَحْسَنَ منها مُقْلَتَيْنِ تُديرُها[٥]

وكنتُ إذا ما جئتُ قلتُ لها: اسْلمي
فهل كان في قولي اسْلَمي ما يَضيرُها[٦]؟

---

(١) لقاء الحبيب له طعم وذوق خاص، فيه تحلو الحياة ويسعد المرء حتى ولو توالى يومياً خلال السنة بكمالها.

(٢) تبرقعت: احتجبت بالبرقع على وجهها. رابني: شككت في الأمر. ومن عادة ليلى أنها كانت تحتجب كلما قمت بزيارتها، فها هي اليوم تسفر عن وجهها، فلا بدّ أن في الأمر شيئاً مخيفاً.

(٣) البسور: العبوس. ما يريبني أن أمراً جللاً قد وقع فها هي تبدي صدوداً وعبوساً.

(٤) بكورها: رحيلها باكراً. ثمَّة أمر دفع ليلى إلى الرحيل مع إشراقة الفجر الأولى، فقد مرَّت وهي تعتلي بعيرها لا تلوي على شيء بعيداً بعيداً.

(٥) الأسود: الظبية. ألمى المحاجر: عيناها سوداوان. مطفل: ذات رِشاء. يعمد الشاعر إلى وصف التفاتات ليلى، فمقلتاها أجمل من ظبية سوداء العينين ترقب صغارها.

(٦) ومن عادة الشاعر، كلما جاءها أن يتمنّى لها السلامة ودعة الحياة، فهل في ذلك ما يغضبها؟

وأُشــرفُ بــالــقَــوْزِ الــيــفــاعِ لــعــلَّــنــي
أَرى نــارَ لــيــلــى أَو يــرانــي بــصــيــرُهــا[١]

حــمــامــةَ بَــطْــنِ الــواديَــيْــنِ تــرنَّــمــي
سَــقــاكِ مِــنَ الــغُــرِّ الــعِــذابِ مَــطــيــرُهــا[٢]

أَبِــيــنــي لــنــا لا زال ريــشُــكِ نــاعــمــاً
ولا زلــتِ فــي خــضــراءَ دَانٍ بَــرِيــرُهــا[٣]

٩٩
الذكرى المحرقة

[البسيط]

يــا دارَ لــيــلــى بِــسِــقْــطِ الــحَــيِّ قَــدْ دَرَسَــتْ
إِلَّا الــثُّــمــامَ وإِلَّا مَــوْقِــدَ الــنَّــارِ[٤]

مــا تــفــتــأُ الــدهــرَ مِــنْ لــيــلــى تــمــوت كــذا
فــي مــوقــفٍ وَقَــفَــتْــهُ أَوْ عــلــى دارِ[٥]

(١) القَوْز اليفاع: الكثيب المرتفع فوق الأرض. ومن عادة الشاعر أن يعتلي ركناً يستطلع أحوال القبيلة بقصد رؤية نار تشبّ فتنير ظلمة الليل، فيعرف ما يجري هناك أو أن يدلّها إحساسها وحدسها أن قيساً في مكان ما قريب من القبيلة.

(٢) الغرّ العذاب: السحب الماطرة بماء عذب. يوجّه الشاعر خطابه إلى حمامة بطن الواديين طالباً منها الغناء العذب والترنّم، بما يحلو لها، وهو يتمنّى لها ماءً غدقاً عذباً فراتاً من لدن الكريم سبحانه وتعالى.

(٣) البرير: أول ما يظهر من ثمر الأراك. ثم هو يطلب منها ألّا تختبئ فهو مسالم، فلا خوف منه، وهو يدعو لها بالبقاء ناعمة البال في الرياض النضرة والثمار الدانية والعيش الرغيد.

(٤) سقط الحيّ: ناحيته. درست: انمحت معالمه. الثمام: نبات صحراوي. يرسم لنا الشاعر صورة الأطلال وقد رحل عنها ساكنوها بسقط اللوى وقد عملت الطبيعة على تغيير معالمها؛ فالمطر أنبت نبات الثمام، ودلالات الحياة قد اندثرت وانمحت، فبات المكان خالياً يثير الخوف والحزن في النفوس.

(٥) يخاطب الشاعر نفسه أن وقوفه وإن طال يسبب موته حيث التقى بليلى للمرة الأولى، أو أن دمعك سينهمر على طلل دارس يوقظ فيك ذكريات عِذاباً.